أوزان الشعر

٢ ـ الشعر الأوربى

للدكتور محمد مندور

الشعر الارتكازى

نأخذ لهذا النوع بيتاً من الشعر الإنجليزى وليكن مطلع « مرثية فى مقبرة بالريف » لتوماس جراى .

the curfew tolls the knell of parting day[1]

نجده مكوناً من ست تفاعيل إيامبية وكل تفعيل مكون من مقطع غير مرتكز عليه ومقطع آخر مرتكز عليه . وإليك وزنه مع رمزنا للارتكاز بالعلامة (ـ) وترك غير المرتكز عليه بدون علامة :

the cùr-few tòlls - the knèll - of pàr-ting dày[2]

وما على القارئ الذى يريد أن يحس بوزن البيت إلا أن يقرأه مع المرور بخفة على المقطع الغير المرتكز عليه والضغط على المقطع الذى يحمل الارتكاز

(١) ترجمته : « دق ناقوس المساء ينعى النهار المدبر »

(٢) الانجليز يضمون حرف r إلى i وألى t فى المقطعين الثالث والسادس ولكننا جارينا التقسيم العلمى

ويسرنا أن نقرر مع هذا أنه لا يوجد فى أسلوب أبى حديد الشاب إسفاف قط

وأما مطابقة وقائعها للحقائق التاريخية فقد حاك فى نفسى شىء من ذلك ، ولو أننى أكتب فى غير موضوع الشعر المرسل لخضت فى هذا الحديث . وقد يكون فى كلامى على هذا النحو شىء من التشكيك أظلم به المؤلف ... ولكن . ليطمئن .. فلم ينته المؤرخون فى أمر عثمان وعلى ومعاوية بشىء ، ولا يزالون مختلفين ...

أما الروح التى أملت المأساة ، فهى من غير شك نفر الشباب المصرى المؤمن المسلم الحديث ... الشباب الذى يؤمن بأن مأساة عثمان هى مأساة العالم الإسلامى كله .

(يتبع)

دريني خشبة

ومن البين أن ما يميز هذه المقاطع بعضها عن بعض ليس كما كما قال الأستاذ خشبة بل الضغط الواقع على بعضها . وأما أن هذ لضغط قد يزيد من كم المقاطع التى يقع عليها فهذه مسألة تابعة . يمكن أن تغير من طبيعة هذا الشعر الذى يعتبر إيقاعياً قبل كل شىء . ومن الملاحظ بوجه عام أن اللغة الإنجليزية بوجه عام لغة إيقاع إذا قيست بلغة سيالة كاللغة الفرنسية .

الشعر المقطعى

هذا النوع من الشعر خاص باللغة الفرنسية ، وسبب وجوده هو ما أشرنا إليه من قبل . فاللغة الفرنسية كما هو معلوم تطور للغة اللاتينية على نحو ما تطورت لغتنا العامية عن اللغة الفصحى مع المحافظة على النسب . ولقد كانت اللغة اللاتينية كما رأينا لغة كمية تتميز مقاطعها بعضها عن بعض بالطول والقصر ، ولكن اللغة الفرنسية فقدت هذه الخاصية كما فقدت الارتكاز أيضاً . فكل لفظة لاتينية كانت فى العادة تحمل ارتكازاً على المقطع السابق للأخير ، وذلك ما لم يكن هذا المقطع قصيراً فإن الارتكاز يسمو فى هذه الحالة إلى المقطع الثالث من الآخر . ولكن هذا الارتكاز سقط من الفرنسية بسقوط الكثير من أواخر الكلمات اللاتينية الأصل

فقدت اللغة الفرنسية إذن الحكم والارتكاز . فعلى أى أساس يقوم إذن الشعر فيها ؟ والواقع أن موسيقى الشعر الفرنسى ليست فى جوهرها موسيقى إيقاع ولكنها موسيقى سيالة دقيقة ، ومع ذلك فالأمر فيها ليس أمر مقاطع متشابهة . كل عشرة . أو اثنى عشر أو غيرها تكون بيتاً من الشعر . بل لا بد أن يكون هناك تقسيم لهذه المقاطع فى وحدات موسيقية إيقاعية إلى حد ما . فالوزن الأسكندرى مثلاً ينقسم عند معظم الشعراء الكلاسيكيين إلى أربع وحدات كبيت راسين :

Oui, je viens | dans son temple | adorer | l'eternél[1]

وفيه نرى كل تفعيلة مكونة من ثلاثة مقاطع (حرف e فى آخر كلمة temple يحذف فى القراءة) . ولكن هذه المقاطع لا يتميز بعضها عن بعض بكم ولا ارتكاز ، وإنما يأتى الإيقاع من وجود ارتكاز شعرى على آخر مقطع من كل تفعيلة

(١) وترجمته : « نعم . لقد أتيت أعبد الرب الخالد فى معبده »

وقد رمزنا له بالعلامة (—) . وهذا الارتكاز كما قلنا ارتكاز ضغط وارتفاع معاً فى التفاعيل الثلاثة الأولى وارتكاز ضغط فقط فى التفعيل الأخير لسقوط الصوت عند الوقف

هذا هو التقسيم الثالث عند الكلاسيكيين[1] . وأما الرومانتيكيون فقد اعتروا بالتقسيم الثلاثى ، فكتور هيجو نفسه قد افتخر بتمزيق أوصال الوزن الكلاسيكى لهذا البحر فى بيت ثلاثى شهير هو :

J'ai disloqué ce grand niais | d'alexandrin.[2]

وهو مقسم كما ترى إلى ثلاث تفاعيل ، كل تفعيل أربعة مقاطع . وأما عن الإيقاع فيأتى من الارتكاز على أواخر الجمل كما ذكرنا بالنسبة للبيت السابق

هذا والتفاعيل الفرنسية ليست دائماً متساوية فى عدد مقاطعها . ولقد كتب الأستاذ الكبير جرامو Grammont كتاباً هاماً جداً بعنوان Le vers français, son harmonie et ses moyens وفيه يظهر أن التفاعيل الفرنسية وإن لم تكن متساوية فى الكتابة إلا أنه من الواجب أن نقرأها كأنها متساوية . فعدم التساوى هذا قد ساقت إليه غريزة الشعر عند الموهوبين من الشعراء عند ما أحسوا بأنه لا بد من أن تسرع القراءة أو تبطئ لتترجم ترجمة صحيحة عن مشاعرهم المتباينة . وإذن فمن واجب القارئ أن يسوى بين التفاعيل فى كمها الزمنى ثم يبحث بعد ذلك عن العلة فيما اضطر إليه من إسراع أو تباطؤ

هذه هى أنواع الشعر الأوربى الثلاثة : كمى وارتكازى ومقطعى . ومن الممكن أن نستخلص منها عنصرين عامين يقوم عليهما كل شعر وهما ١ ـ الكم ٢ ـ الإيقاع

أما الكم فنقصد به هنا كم التفاعيل التى يستغرق نطقها زمناً ما . وكل أنواع الشعر لا بد أن يكون البيت فيها مقسماً إلى تلك الوحدات . وهى بعد قد تكون متساوية كالرجز عندنا مثلاً ، وقد تكون متجاوبة كالطويل حيث يساوى التفعيل الأول التفعيل الثالث والتفعيل الثانى التفعيل الرابع وهكذا

ولكن هذا الكم الذى يسمى فى الموسيقى mesure لا يكفى لكى نحس بفاصل الشعر . فلا بد من أن يضاف إليه الإيقاع المسمى rythme

ولكى نضمن تحديد الفهم نعرّف الإيقاع : فهو عبارة عن رجوع ظاهرة صوتية ما على مسافات زمنية متساوية أو متجاوبة . فأنت إذا نقرت ثلاث نقرات ثم نقرت رابعة أقوى من الثلاثة السابقة وكررت عملك هكذا تولد الإيقاع من رجوع النقرة القوية بعد الثلاث نقرات الأولى ، وقد يتولد الإيقاع من مجرد الصمت بعد الثلاث نقرات الأولى

لا بد إذن أن تكون هناك ظاهرة صوتية متميزة تحدث فى أثناء نطق كل تفعيل وتعود إلى الحدوث فى التفعيل الذى يليه . والأمر فى الشعر الارتكازى واضح . فالارتكاز نفسه كما يميز بين المقاطع يولد كذلك الإيقاع . وأما الشعر الكمى فقد أحس القدماء بأن مجرد عودة مقطع طويل بعد مقطعين قصيرين مثلاً لا يكفى لإيضاح الإيقاع فدلونا على أن هناك ارتكازاً شعرياً يقع على مقطع طويل فى كل تفعيل ويعود فى نفس الموضع تقريباً من التفاعيل الأخرى . وكذلك الأمر فى الشعر الفرنسى فهم لم يكتفوا بتقسيم البحر الإسكندرى مثلاً إلى تفاعيل متساوية فى الكتابة والقراءة معاً أو القراءة فحسب ، بل أضافوا إليه وجود ارتكاز ضغط وشدة ، أو ضغط فقط فى آخر كل تفعيل وعودة هذا الارتكاز على مسافات زمنية محددة هو الذى يولد الإيقاع . ولكنه لما كان إيقاعاً قليل العدد خفيف الوقع ، فإن الشعر الفرنسى لا يعتبر بالنسبة للشعر الإنجليزى مثلاً شعراً إيقاعياً بل شعراً سيالاً كما قلنا

والآن أين يقع الشعر العربى من كل هذا ؟ الجواب على هذا السؤال يجب أولاً أن ننقض مذهب الخليل من أساسه وهذا ما سنحاوله فى المقال الآتى .

محمد مندور

(١) يسمى الأستاذ الزيات الكلاسيكيين بالأتباعيين والرومانتيكيين بالابتداعيين ولكنهم جميعا كانوا فى الحق أتباعيين . الكلاسيكيون أخذوا عن اليونان واللاتين ، والرومانتيكيون أخذوا عن القرون الوسطى أى عن الأدب الرومانى وهو ذلك الأدب الذى كتب باللاتينية أو اللغات الرومانية langues romanes واللغة الفرنسية إحدى هذه اللغات . فالرومانتيكيون قد فضلوا أن يستوحوا أدبهم القومى فى القرون الوسطى بدلا من الرجوع إلى قدماء الأغريق واللاتين وهذا هو سبب تسميتهم بالرومانتيكيين

(٢) وترجمته : « لقد مزقت هذا الأبله الكبير المسمى البحر الأسكندرى »